



في حرب دامت سنوات طويلة بلغت فيها خسائرها البشرية والمادية مبلغاً لا يستهان به، شكلت الولايات المتحدة جيشاً (محلياً) كبيراً من أجل الحؤول دون إنشاء الجهاديين ملاداً آمناً لهم في الشرق الأوسط. وتولى مدربيون أمريكيون الإشراف على تدريب الجيش هذا، ومدته واشنطن بالسلاح والعتاد، وبلغ عدده 250 ألف جندي.

ولا يخفى أن الكلام يدور على الجيش العراقي. ولا تخفي كذلك الحوادث التي أدت إلى تعاظم قوة الجهاديين: تمدد الحرب الأهلية السورية إلى العراق، وشن «الجهاديين» حملات ضد الجيش العراقي ورجحان كفتهم. وطردت فرق عراقية تولت أمريكا تنظيم بنيتها من مواقعها، وهرب الجنود الذين دربتهم من المعركة، فوقعوا الأسلحة الأمريكية في أيدي «الدولة الإسلامية».

وقد تحمل هذه الحوادث عبراً حبذا لو تعتبر واشنطن بها.

فمن العسير إيجاد حلفاء في الشرق الأوسط الذي تعمه الفوضى. ولكن يبدو أنها تغفل دروس تجاربها السابقة. فاستراتيجيتها الجديدة الرسمية تدور على ما سبق اختبار فشله: ابتكار حلفاء، ومدهم بالسلاح والمال، وإقناع الذات بأن الأمور ستسير على ما يرام.

والحلفاء اليوم في سوريا «معتدلون»، واقترع الكونغرس الأسبوع الماضي لتدريبهم وتسلیحهم. واستخدم عبارات مثل «هؤلاء ليسوا مخيفين مثل الآخرين» لدى الكلام على الثوار في سوريا. ولا يزيد عدد المقاتلين السوريين الذين ستدربيهم أمريكا هذا العام على 5 آلاف، أي سدس عدد مقاتلي «داعش». ولا تبدو حظوظ المقاتلين السوريين واعدة. فالثوار ينونون استخدام السلاح الأمريكي في قتال نظام الأسد و«داعش»، على حد سواء. ولا شك في أن إخفاق أمريكا في تشكيل جيش قادر على إرساء استقرار العراق وحمايته، إثر سحبها قواتها، هو مأساة

تراجيدية، لكن الرهان على تسلیح الثوار هو أقرب إلى تراجيديا عبثية.

وتزعم الإدارة الأمريكية أنها ليست أمام خيارات طالحة في سعيها إلى احتواء «الخلافة» أو إطاحتها. وال الخيار الواقعي غير العبثي اليتيم هو ذلك الذي انتهجه الرئيس الأمريكي حين اختار شن ضربات جوية محدودة لنجد الأكراد الشهر الماضي.

وخياره هذا كان يندرج في سياق استراتيجية احتواء وتقويض تلزم خطوط المعركة في العراق، وتنظر تفاعل القوات الكردية والجيش العراقي مع الدعم الجوي وتحمّن قدرة الجانبيين على التقدّم على الجبهة الغربية، وترى هل الحكومة العراقية بعد المالكي قادرة على استمالة القادة السنة وتوسل القوة الجوية إلى تقويض قدرات الخلافة القتالية وانتظار تأكل أركانها فتهاجر من الداخل. لكن استراتيجية الاحتواء هذه تترك مناطق كثيرة في قبضة «الدولة الإسلامية» لأشهر أو سنوات مقبلة. ولذا، استدارت الإدارة الأمريكية نحو سوريا وانتهت استراتيجية الوهم الramie إلى تسلیح الثوار.

لكن واقع الحال مرير. فالحاق الهزيمة بـ«داعش» في سوريا يقتضي أكثر من إلقاء بعض قنابل عليها ودعم مجموعة صغيرة معتدلة دربتها أمريكا. يقتضي تدخل قوات برية أميركية أو التحالف مع نظام بشار الأسد. وثمة مؤيدون لهذين الخيارين في أوساط الحزب الجمهوري. وعدد كبير من الصقور يميل إلى إرسال قوات برية إلى أرض المعركة. فجون ماكين دعا أمريكا إلى شن حرب على الأسد والإسلاميين، في آن.

ويبدو أن راند بول على رغم تصريحاته الملتبسة يميل إلى الرأي القائل بالتحالف مع الأسد. ولا شك في أن البيت الأبيض لا يستسيغ الخيارين، لكن المقاربة الحالية ترجم كفة وجهة نظر ماكين، وتحوّل إلى التصعيد تدريجياً (القصف اليوم، وقوات خاصة غداً، وما بعد الغد...) في سوريا، فتجه الأمور إلى الصدام مع الأسد وخوض حرب على أكثر من جبهة.

وفي وسع الرئيس الأميركي التراجع والعودة إلى استراتيجية الاحتواء والتقويض في العراق وتفادي التزام كبير في سوريا. وهذه الاستراتيجية لا تطير «الدولة الإسلامية» فوراً، لكنها لا تفترض اللجوء إلى حلول سحرية على غرار استنبط حليف يعتد به في وقت تتفشى خلافات الحرب الأهلية السورية، أو التحالف مع أكثر الديكتاتوريين دموية في المنطقة، أو العودة إلى الحرب البرية وعملية بناء الأمة في منطقة لم تثمر فيها مساعينا وذهبنا هباءً. والتراجع عن الانزلاق إلى تدخل بري في سوريا أو التحالف مع الأسد، يجنب أمريكا الوقوع في براثن الأوهام التي أودت بها إلى العراق في 2003. ويبدو أن بعض الأوهام يعصى تبديده على واشنطن.

السبيل نقلأً عن نيويورك تايمز

المصادر: